وما سواها (159)

التفكيـــــر والتخديـــــــر!!

http://www.arabpsynet.com/Samarrai/DocSamarraiWaMaSawahaa159-010317.pdf

د. صـــــــادق السامرائـــــــي
أمريكـــا - العـــراق
sadiqalsamarrai@gmail.com

يراودني سؤال غريب عن أسباب رقود الأمة في محنة التورط بماضيها ونسيان حاضرها ومستقبلها , وكلما أمعنت بالبحث عن جواب , أكتشف أن لذوي الرأي والكلمة الدور الجوهري في ذلك!!

فالأمة ومنذ إنطلاقتها الأولى كانت تتحرك ضمن آليات ومناهج متصلة بفكر ومفكرين يتفاعلون فيما بينهم , فكان مصطلح الصاحب والنصير هو السائد , فالنبي كان عنده أصحاب وحسب , وكانت هذه الروح التفاعلية الإبداعية هي التي تقود وتنتج , وكان الصاحب مفكرا ومبدعا وممعنا في سبر أغوار الرؤى والتصورات , حتى تولدت في الأمة طاقات ذات قيمة حضارية.

وأية نهضة أو ثورة أو حركة لا تحقق شيئا مهماً إذا غاب المفكرون فيها أو إنتفى دورهم , وأن الأنبياء والرسل المؤثرين في مسيرة الحياة هم من ذوي الفكر والعقيدة والقدرة على التأمل والتعقل والإصلاح.

وبسقوط مفهوم الصاحب , طغى على الحياة مصطلح التابع , الذي شل العقل ومنعه من التفكير والرأي , وأوجب عليه أن يتبع ويقبع ويخنع , وهذا الأسلوب التفاعلي في الأمة أدى إلى تدمير قدرات الصيرورة الحضارية , ومنذ أن أفل دور الصاحب في الحياة العربية , تحول أبناؤها إلى قطيع يتبعون للذي يقهر ويحكم بالسيف ويجور ويفتك بالآخرين , ويذيق أي مُفكر حُر ويلات التشريد والتعذيب والقتل والتدمير , كما حصل للكثير من المفكرين والكتاب الذين كافحوا من أجل تنوير العقول وتعبيد دروب الحياة.

وتوالت القرون , وفي القرن العشرين لم يبرز في الأمة مفكرون ذوو شان وقدرة على وضع الأسس المعاصرة للإنتقال إلى مرحلة التفاعل الحضاري القادر على التطور والنماء , وكان للأنظمة القهرية الإستبدادية دورها الأكبر في هذا المجال , مما تسبب في إنتاج الذين يكتبون ويفكرون بمداد الكراسي وحسب.

يراودني سؤال غريب عن أسباب رقود الأمة في محنة التورط بماضيها ونسيان حاضرها ومستقبلها , وكلما أمعنت بالبحث عن جواب , أكتشف أن لذوي الرأي والكلمة الدور الجوهري في ذلك!!

كان مصطلح الصاحب والنصير هو السائد , فالنبي كان عنده أصحاب وحسب

كان الصاحب مفكرا ومبدعا وممعنا في سبر أغوار الرؤى والتصورات , حتى تولدت في الأمة طاقات ذات قيمة حضارية

أية نهضة أو ثورة أو حركة لا تحقق شيئا مهماً إذا غاب المفكرون فيها أو إنتفى دورهم

بسقوط مفهوم الصاحب , طغى على الحياة مصطلح التابع , الذي شل العقل ومنعه من التفكير والرأي , وأوجب عليه أن يتبع ويقبع ويخنع

وهذه الحالة الخنوعية أدت إلى أسر الفكر العربي في منهجية سلبية تهدف إلى تبرير ما هو قائم وترسيخه وتسويغه , لكي تعطي للكرسي المفردات التي يمكنه أن يتمنطق بها ويبعد الشبهات عنه , وبأنه يقوم بما هو صحيح وصائب , وأن الذي يجري من حوله بسبب الآخرين.

ولهذا تجدنا في دائرة مفرغة من التفاعلات السلبية في ميادين العلوم المختلفة , والتي لم تأتِنا بما هو نافع , وإنما جميعها تتشابه وتتماثل في طرحها , ولا تختلف إلا بالمفردات والعبارت وأساليب طرح الموضوع , لكن النتيجة واحدة , والهدف واحد , والخلاصة أن البشر عليه أن يتبع ويقبع , وأن ما يسمى فكرا ما هو إلا من نتاج الآليات التبريرية والترسيخية الكفيلة برسم خارطة الإستنقاع العربي في جميع الميادين.

قد يقول قائل , أن الأمة فيها من المفكرين الأفذاذ ما يجب أن نفخر به ونعتد , وهذا صحيح لكن مناهجهم مكررة ولا يوجد أصالة في طروحاتهم , ومعظمها إن لم يكن جميعها مبني على التحليل أو التفسير , ويغفل الحلول والخطط اللازمة للتغيير , ولهذا لم يتغير المجتمع العربي ويتسابق مع المجتمعات الأخرى.

فالطروحات الفكرية مبتورة , بمعنى أنها تغوص في آليات التحليل العقيم , ولا تأتي بنتائج ذات قيمة عملية وتفاعلية توجب التحرك بموجبها لصناعة الحياة.

وهذا فرق شائع بين المفكر العربي والأجنبي الذي عندما يفكر يصنع الحياة ويحرك مياهها ويطلقها نحو آفاق أوسع ومديات أبعد , أما المفكر العربي فأنه يخنق الحياة ويقتلها , ولو تأملنا المفكرين العرب أجمعين لإنتهينا إلى ذات النتيجة السلبية الإنكسارية الخسرانية , التي تؤكد أن المفكر العربي سلبي الطباع والتوجهات والمعطيات , وبسبب ذلك تم التأكيد على سلبية الحياة ومسيرتها الدامية.

فالمفكرون القوميون والوطنيون والدينيون والعقائديون والإجتماعيون وغيرهم , لم يقدموا للأمة إلا ما يغرقها بالدم والصراعات القاسية , التي تدمر الذات العربية وموضوعها وهويتها وما يتصل بها من المميزات والعلامات الفارقة.

فالمفكر الأجنبي عندما يفكر يعرف أن الفكر عمل وتفاعل ما بين الناس , وأن الفكر طاقة وقوة لإطلاق ما عندهم من القابليات الكفيلة بصناعة الحياة الأفضل والأرقى , وعندنا المفكر

منذ أن أفل دور الصاحب في الحياة العربية , تحول أبناؤها إلى قطيع يتبعون للذي يقهر ويحكم بالسيف ويجور ويفتك بالآخرين , ويذيق أي مُفكر حُر ويلات التشريد والتعذيب والقتل والتدمير

منذ أن أفل دور الصاحب في الحياة العربية , تحول أبناؤها إلى قطيع يتبعون للذي يقهر ويحكم بالسيف ويجور ويفتك بالآخرين , ويذيق أي مُفكر حُر ويلات التشريد والتعذيب والقتل والتدمير

كان للأنظمة القهرية الإستبدادية دورها الأكبر في هذا المجال , مما تسبب في إنتاج الذين يكتبون ويفكرون بمداد الكراسي وحسب

قد يقول قائل , أن الأمة فيها من المفكرين الأفذاذ ما يجب أن نفخر به ونعتد , وهذا صحيح لكن مناهجهم مكررة ولا يوجد أصالة في طروحاتهم

فرق شائع بين المفكر العربي والأجنبي الذي عندما يفكر يصنع الحياة ويحرك مياهها ويطلقها نحو آفاق أوسع ومديات أبعد , أما المفكر العربي فأنه يخنق الحياة ويقتلها

أن المفكر العربي سلبي

كالمتصوف الذي عليه أن يفكر وينتمي لما يفكر به ويراه فقط , ولا يعنيه من الفكر سوى أنه فكر وتوهم بأنه قد وجدها أو حل لغزها ومعضلتها , وبأسلوبه الإستكاني الإنفعالي المتخمر في أقبية الباليات.

ولهذا فأن العلة الحقيقية التي تمخر عباب الوجود العربي تتأكد بمفكريها العاجزين عن الإتيان بمناهج عمل , وصياغات بنّاءة لصناعة واقع ومستقبل ومنطلقات كينونة ذات قيمة حضارية وإنسانية.

فما تعيشه الأمة اليوم دليل على فشل المفكر العربي وسقوطه في حفر الغابرات والتداعيات , وعدم قدرته على الوصول إلى إستنتاجات عملية ذات قيمة تنفيذية لتغيير الواقع والحياة.

ولا يمكن للأمة أن تخرج من مأزقها وتستعيد بعضا من هيبتها ومواضع خطواتها , إلا حينما يبدأ المفكرون العرب النظر بآليات تفكيرهم , ويسعون إلى البحث عن حلول عملية وليست خيالية , ويبتعدون عن التحليل والتفسير والتخبيل , الذي يحسبونه فكرا وما هو إلا عبث بالعقول والنفوس , وبمفردات المعاني الإنسانية السامية , التي تُداس اليوم بأحذية الناقمين من الحياة والبشر أجمعين.

فهل سنفكر ونمتلك فكرا عربيا أصيلا منيرا يرينا الدرب واضحا والحياة أملا؟!!

الطباع والتوجهات والمعطيات , وبسبب ذلك تم التأكيد على سلبية الحياة ومسيرتها الدامية

المفكرون القوميون والوطنيون والدينيون والعقائديون والإجتماعيون وغيرهم , لم يقدموا للأمة إلا ما يغرقها بالدم والصراعات القاسية , التي تدمر الذات العربية وموضوعها وهويتها

العلة الحقيقية التي تمخر عباب الوجود العربي تتأكد بمفكريها العاجزين عن الإتيان بمناهج عمل , وصياغات بنّاءة لصناعة واقع ومستقبل ومنطلقات كينونة ذات قيمة حضارية وإنسانية

*** *** *** ***

*** *** *** ***